"الأحمر ليس لون الحب"

خُلق الكون وفقًا لقوانينه، ومن أعاجيبه أن ما ينطبق على النماذج الكبيرة نجده في المصغرة منها، فكما يُقال "كما في الداخل كما في الخارج، وكما في الأسفل كما في الأعلى"، ولأن الإنسان "هو لغز الكون ونكتته وسره" فقد خُلق بمنظومة متكاملة تقوم وحداته على التخصص بتوزيع الأعمال كالتنفس، والهضم، والحركة، والنمو والتكاثر، ولأجل أن تستمر العمليات الحيوية لا بد من وجود جيش محنك يحمي سائر الجسد من الأعداء كالطفيليات؛ ولأن الإنسان هو الوحدة الصغيرة من المجتمع فإن مجموعه يكون الدولة والتي ينطبق عليها ما ينطبق عليه؛ وما إن يتم التلاعب بمسمياته كأن يتم تحويل معظم خلاياه إلى نظام دفاعي، كما يحدث في المجتمع اليمني تبدأ الخلايا بفقدان هويتها والتحول إلى خلايا سرطانية.

وأما الأرض فهي الرحم الذي ننتشر من خلاله إلى الحياة، لكنه في المجتمع اليمني يتم تعبئة أفكارنا نحو إعادة ملأه بالدم وكأننا نحاول رجوعنا إلى مرحلة هدم جدره في عملية الإجهاض! وكأننا نعاند الطبيعة ونرغب بتغيير خطة الإله بوجودنا، فنحفظ الأغاني منذ الصغر ونرددها في ساحات المدارس العلمية والمجتمعية " نموت... نموت ويحيا الوطن" تحت شعار الإخلاص، مستغَلُّون ومتوجِهون مُوجَهون بعد ذلك نحو ساحات القتال بتعدد أشكالها ليحا الوطن. وبينما يكمن الوطن فينا، وبنائه باختلافات أبنائه وبتسخير فئة محددة فقط للدفاع عنه " الجيش" لأجل أن يحيا الآخرون بسلام على الأرض وليس لأجل أن تبقى الأرض؛ فالبروح والدم صغًارا وكبارًا رجالًا ونساءً نفدي الوطن، نحشر أنفسنا بهذا الفكر الضيق ونتصادم بعنف فيما بيننا أكثر ونعتصر نفسيًا حتى تتجلى ملامحَه على الواقع المادي فنحاول بعثرة ما جمعه الله فينا مبكرًا، فما فائدة الأرض دون الإنسان وما فائدة التجربة الأرضية إن سعينا نحو الموت إلا أن تقوم الساعة ويقضى الأمر، أو لنظل نموت حتى يأتي غيرنا لهذه الأرض التي متنا لأجلها وحان أن يستعمرها الآخرون؟!

ما نحن إلا نتاج الوراثة والمجتمع لا سيما بالتلوث والخلل، فننشأ أحيانًا بين معطيات مشوهة مثَلَ أن ننسى غاية وجودنا على هذه الأرض، كأن

يتم التلاعب بالأسماء وربطها بصور خاطئة، فنظن أنا خلقنا لأجل الأرض بدلًا عن كونها مشيمة حاضنة لأجنة البشرية ووسط صب مكنونات تعبيرات الإنسان والتي في مجملها تعود للإنسان؛ أي أن الأرض المساحة التي تهيأ لنا قدسية الحياة والتي تتركز أكثر ما يكون بدواخلنا؛ ولكننا في هذا المجتمع يتم ازاحة قدسية الحياة من مفاهيمنا نحو وهبها للأرض، فكبرنا وكأنه يلزم أن نسدد ديننا عليها؛ ولأن أغلى ما نملكه هو (ذواتنا) طبقًا للغريزة الوجودية سنضحي بنا للأرض، ناهيك عن المدخلات الأخرى مثل التماهي مع شعور العار والذنب والخطيئة الوجودية نتيجة تنشئة أسرية أو مجتمعية أوإعلامية أوجميعهم معًا يتم استغلالها كثيرًا باسم الدين والوطنية والعادات بالإضافة إلى الفقر؛ تظهر على هيئة تشوهات وصراعات وأحقاد بين الإنسان وذاته وبين الإنسان ومجتمعه الصغير أو الكبير من حوله بصورها المختلفة على عشب الحروب كالتعصب والأنانية والشره لرائحة الدم.

يجب علينا أن نشكك ما استطعنا بالمعطيات التي تُصدر إلينا، لا سيما تلك التي تُدغدغ حساسيتنا تجاه الدين والوطنية، وأن نبحث عن القواعد التي يُسند عليها الحكم في الأمور؛ أن ندرب أنفسنا بأن لانتماهى مع المشاعر اللا سامية ولذة الألم والبغضاء كالحروب بصورها وأشكالها المختلفة على الساحات ابتداء من دواخل العقول والقلوب وتغيير روابطها المختلفة؛ حتى نُصدق بأنه يجب علينا أن نحترم إنسانيتنا ونراعاها من الملوثات؛ وكما في حل جميع المشكلات يكمن العلم في قاعدة الهرم والذي يستند عليه توجهات الإنسان بممارساته وسلوكياته المختلفة كالعمل والفنون والرياضة؛ ولا يُقصد بالعلم الذي يلزم بحفظ المعلومات وفصلها عن الواقع والذي يؤدي بكثير من الأكاديمين من اتباع تصفيق المخربون نحو الاقتتال، بل هو التعلم وقوة الملاحظة والسؤال واللذان يُتبعان بالتجارب الفكرية والمادية وتحليل الوقائع المختلفة.

التمييز بين الحق والباطل أمر صعب، والأصعب هو أن نحاول التفريق بينهما بعد ما تم التلاعب بالحقيقة وبرمجتنا على عدم التفكير باستقلالية من الأسرة إلى المجتمع بتعدد بعض تياراته الفكرية الخاطئة والتي تلتقي

في ساحات القتال تحت مسميات زائفة كتلك التي يوجب فيها التضحية بالروح والدم! فمن قال أن الأرض هي الوطن؛ الوطن هو نحن، هو أنا، هو أنت.